

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

جامعة عبد الرحمن ميرة - بجاية

القراءة النقدية الحديثة والمعاصرة

المحاضرة الثانية

1- الحداثة النقدية

تتحدّد الحداثة النقدية بتلك الاتجاهات النقدية الحداثيّة التي أسهمت بالتبشير بحركات الحداثة والحداثيّة وما بعد الحداثيّة في الأدب الأوروبي، وتواصلت في الكتابات النقدية طيلة هذه الفترة ضمن قنوات متعددة، وهي تتقاطع تارة وتتعايش تارة أخرى مع الاتجاهات النقدية التقليدية والأكاديمية المختلفة.

لقد قبلت العلوم الإنسانية ظروف الخطاب الأدبي، وجعلت تطورات التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس التحليلي الموضوع الإنساني مدار تحليلها، وكذلك فعلت بالنص الأدبي من حيث هو مجال بحث بقدر ما هو متعة جمالية. فجّح النقد الأدبي إذن إلى أن يكون علما يوظّف إجراءات تحليل ذات رموز منظمة، كما يوظّف رصيذا دقيقا من المفاهيم عموما. فتخلّص من المقاربة الذاتية والشخصية إلى المقاربة الموضوعية التي تتوسّل بوسائل وأدوات فهم جديدة يدين بها النقد للتاريخ وعلم الاجتماع ولعلم النفس التحليلي وللسانيات.

وشهد القرن العشرين إقبالا على الطريقة " التتقيبية " التي ولدت على أيدي سانت بوف وتين ولانسون في القرن التاسع عشر، واتجّه النقد تحت تأثير النزعة الألمانية: نقد وتحقيق النصوص، وهو لون من النقد الذي يعنى بدراسة التحريفات الطارئة على النص وتفسير الأثر الأدبي بسيرة حياة الكاتب وبيئته وجيله الأدبي.

ويعرّف النقد الحديث بالاستعمال المنظم للتقنيات غير الأدبية ولضروب المعرفة غير الأدبية أيضا في سبيل الحصول على بصيرة نافذة في الأدب، ومثل هذا التحديد يتقاطع مثلا مع تحديدات رينيه ويليك وأوستين وارين في كتابيهما " نظرية الأدب " حول ملامح الحركة النقدية في النصف الأول من

محاضرات في مقياس مناهج البحث الأدبي - السنة الأولى ماستر -2025 م

هذا القرن، إذ يذهب هذا الناقد إلى التمييز بين منهجين في النقد: المنهج الخارجي والمنهج الداخلي - وهو تقسيم شاع كثيرا في البحث النقدي - حيث يسعى منهج الدراسة الخارجية إلى تفسير الأدب في ضوء سياقه الاجتماعي والتاريخي.

ومثل هذه الدراسة تغدو في معظم الحالات شرحا تحليليا تتصدى لدراسة الأدب وشرحه، وأخيرا لإرجاعه إلى أصوله. ويرى الناقدان أنه قد حدثت في الفترة الأخيرة ردّة سليمة تقرّ بأن دراسة الأدب يجب أن تركز أولا وقبل كلّ شيء على الأعمال الفنية ذاتها. وهو جوهر المنهج الداخلي الذي يراه الناقدان منسجما والاتجاهات النقدية الحديثة التي يبشران بها، لأنه يرفض مفهوم النسبية التي تقول إنّ الأزمنة المختلفة تتطلب مقاييس مختلفة.

ويضع الناقد ستانلي هيمن امتيازاً للنقد الحديث يتمثل في استعمال غير أدبية، وضروب للمعرفة غير الأدبية، فإنّ القسم الأغلب من الاتجاهات النقدية الحدائنية والحدائنية- رغم تباين منطلقاتها ومناهجها وأصولها- راحت تلجّ على ضرورة تأسيس نقد وصفي محايت يستمد كلّ مقوماته من اللغة ذاتها وينهمك بمعاينة النص الأدبي بوصفه نسيجا لغويا، ومثل هذا النقد يرفض في الوقت عينه، الاتكاء على التقنيات وضروب المعرفة غير الأدبية وهو عموما ينضوي تحت لافتة " المنهج الداخلي في دراسة الأدب " التي حدّد معالمها وارين ووليك.

واتخذت حركة الحدائنية النقدية لها في الأدبين الأمريكي والانكليزي، مسميات مثل " النقد الموضوعي " و " النقد التحليلي " و " النقد التطبيقي " و " النقد الجديد "، كما اتخذت حركة الحدائنية في بلدان أوربية أخرى مسميات مغايرة كالشكلائية الروسية ومدرسة " النقد الجديد " الفرنسية. فمدرسة " النقد الجديد " في الأدبين الأمريكي والانكليزي قد سعت لتطوير تقاليد النقد الموضوعي التي وضع " أسسها ت.س. إليوت ودمجها بمنهجية " النقد التطبيقي " لدى ريتشاردز، فواصلت هجومها على نظرية التعبير الرومانسية، كما ركزت هجومها الجديد على النزعات التاريخية النسبية وعلى المنطلقات السوسولوجية والأخلاقية والأكاديمية وكلّ المقاربات الخارجية. وقد أولت حركة " النقد الجديد " اهتماما زائدا للمقاربة النقدية الداخلية عن طريق التحليل الدقيق للمكونات اللغوية والجمالية للعمل الأدبي بحيث صار النقد يطمح لأن يكون غاية في نفسه تماما.

ظهر النقد الجديد الأنجلو أمريكي في سياق مواجهة بعض الاتجاهات الوجدانية (الانطباعية) والوثائق التاريخية التي غطت على النص وغمرته بما ليس له، مستلهما أفكار المدرسة التصويرية

محاضرات في مقياس مناهج البحث الأدبي - السنة الأولى ماستر -2025 م

الشكلية التي أسسها الشاعر الأمريكي الكبير إزرا باوند **Ezra Pound** (1885-1972)، إضافة إلى الأفكار النقدية الحديثة التي جاء بها الشاعر الناقد الأمريكي الأصل الإنجليزي الجنسية ت.س.إليوت (**Thomas Stearns Eliot**) (1880-1965) بشأن نظرية المعادل الموضوعي وأعمال إ.أ.ريتشاردز **Ivor Armstrong Richards** (1893-1979) صاحب مبادئ النقد الأدبي " (1924) و " العلم والشعر " (1926)، و " النقد العملي " (1929).

ويرى أحد المتحمسين لمدرسة " النقد الجديد " أنّ المعلم الأول من معالم النقد الحديث يقوم على " الدراسة العلمية الموضوعية التي تنفذ إلى دقائق عملية الخلق الفني ودقائق عملية التذوق، ومن ثمّ عملية النقد.

اتخذت الدراسات النقدية الجديدة (مع هيمنة النقد الجديد) من القراءة الفاحصة للنصوص وسيلة تحليلية مركزية، تتقصى معجم النص وتراكيبه اللغوية والبلاغية ورموزه وإشاراته، وكلّ العناصر الجوهرية التي تفكّ شفراته وتستنبط دلالاته، كما اهتمت بالطبيعة العضوية للنص الأدبي، باعتباره كائناً لغوياً يمثل وحدة عضوية متجانسة العناصر التي تمثل مكوناته الداخلية، مستقلة عن الظروف والمؤثرات المحيطة.

كما تنبذ مثل هذه الدراسات التقويم المعياري الممثل في إطلاق الأحكام التي تقتصر إلى الأدلة المعلّلة، مع نبذ الالتزام ورفض استخدام الأدب وسيلة لتمرير رسالة معينة لتحقيق غاية نفعية.

2- الوعي بالمنهج:

شهدت مختلف العلوم الإنسانية تطورا هائلا، وبخاصة العلوم اللغوية، التي أفادت من منجزات علوم أخرى. ولأنّ النص الأدبي يبدعه فرد ينتمي إلى المجتمع، ويتجّه إلى جمهور القراء، فقد يتناول علم الاجتماع بالدرس، إلى آخر العلوم الإنسانية كعلم النفس والتاريخ والفلسفة، علما أنّ لكلّ منها منهجا تسلكه في استنتاج الظاهرة الإبداعية.

وتتباين هذه المناهج وتختلف توجهاتها، بتركيزها في دراسة الأدب إمّا على العناصر الخارجية، وإمّا بالتركيز على عناصره الداخلية، لهذا فالوعي بالمنهج أصبح خاصية تتلائم وطبيعة المعرفة الإنسانية وتتوّع أشكال التعبير، وشروط تكوينه وكيفية تظهريه.

3-الإبداع الأدبي:

يقتصر الإبداع الأدبي على الكتب العظيمة التي تشتهر لشكلها الأدبي أو تعبيرها، مهما كان موضوعها، فالمعيار هنا إما أن يكون جدارة جمالية فقط أو جدارة جمالية مرتبطة بميزة فكرية عامة. فالأعمال الأدبية تنتقى لشهرتها أو لسموها الفكري معا بالإضافة إلى قيمة جمالية من نوع أضيق: الأسلوب، التأليف والقوة العامة للعرض: هي الخصائص التي يشار إليها عادة. هذه طريقة شائعة كما يؤكد الناقدان رونييه ويلييك وأوستين وارين في تميز الأدب والحديث عنه، حين نقول: " هذا ليس أدبا"، فإنما نعبر عن مثل حكم القيمة هذا، ونحن نصدر ذات النوع من الحكم حين نتحدث عن كتاب في التاريخ أو الفلسفة أو العلم، باعتباره يمت إلى " الأدب " بصلة.

وما يميّز الأدب أيضا هو الاستعمال الخاص للغة، فهي ليست مجرد مادة جامدة كالحجر، وإنما هي ذاتها من إبداع الإنسان، ولذلك فهي مشحونة بالتراث الثقافي لكل مجموعة بشرية، مادامت توجد فيه أشكال مختلطة عديدة وتحولات خفية، فاللغة الأدبية إذن أشدّ إيغالا في البنية التاريخية للغة، فهي تشدّد على وعي الإشارة ذاتها، ولها جانبها التعبيري والذرائعي. ففي لغة الشعر تستخدم قصدا المفارقة واللبس وتغيير المعنى في السياق، وحتى إلى الترابط غير العقلاني للمقولات النحوية كالتذكير أو التأنيث وأزمنة الفعل.

ولتمييز العمل الإبداعي الفني علينا بإخراجه عن عالم الواقع، بإدخال بعض المفاهيم الجمالية العامة مثل: " التأمل الخالص"، " البعد الجمالي"، " التشكيل"، إن نطاق الوظيفة الجمالية يتجلى في مراحل مختلفة من التاريخ، لينحو إلى التوسّع أو التقلّص، ليشمل أشكالا انتقالية كالسير والخطابة والرسائل والحكم والمواعظ والأمثال.

4-طبيعة المنهج النقدي المعاصر

تتبنى الدراسة النقدية المعاصرة على مناهج نوعية تحدّد خصائص القراءة التطبيقية الفاعلة، تهندس مستوياتها وأدواتها الإجرائية وتحدّد معالمها في إطار معرفي أكاديمي يجعل رؤية الباحث أكثر نضجا وانفتاحا. فهذه القراءة الأكاديمية العلمية تبرهن على صحة الرؤيا وفاعلية هذه المناهج النقدية.

إنّ الفعل القرائي المعاصر الذي يتدعم بالمناهج النقدية المعاصرة يؤسس بناءا مفتوحا يواصل فيه الناقد المعاصر عملية الكشف عن آليات شعرية الخطابات التي تفصل بين مستويين: الظاهر والخفي،

محاضرات في مقياس مناهج البحث الأدبي - السنة الأولى ماستر -2025 م

والإمساك بالدلالات المكثفة في النصوص الأدبية، فالقارئ يتحوّل من قارئ منفعل متأثر إلى قارئ يمارس حضوره في النص، بإعادة بناء النص، مشاركاً المبدع في الرؤية المتوارية. ولحمة هذا العملية النقدية الإبداع المنظم، ولن تبلغ هذا الغاية إلا إذا تمكّن القارئ من التوسّل بمنهج نقدي يحتذي به، وجهاز من المفاهيم تكفل له هذا تنظيم قراءته.

والنص الأدبي المعاصر يخلق فيه المبدع عوالم جديدة، يستحضر من خلالها الواقع والتمخّل، الممكن والمستحيل، الغابر والظاهر، في علاقة حوارية متنامية تمتد من الذات باتجاه الكوني، وتحجب الدلالات والرؤى التي تتمظهر في التلاعب الأسلوبي والشكلي والأسلوبي والسيميائي من قبل الكاتب في منطقة ذات قيمة شكلية يتوارى فيها وتكون قابلة للتأويل والتفكيك.

ولهذا السبب يؤمّن النص الأدبي بقاءه واستمراره وقدرته على الفعل بما خفي فيه لا بما ظهر، فيظلّ تبعاً لذلك في حاجة دائمة إلى القراءة وفي حاجة دائمة إلى الكشف.

بقراءة النص يطرح القارئ أسئلة متعدّدة أهمها: فإذا كان المعنى إنتاجاً من الدوال المتغيّرة باستمرار، المتأرجحة بين الحضور والغياب، كيف يمكن أن تكون حقيقة محددة أو معنى على الإطلاق؟ وإذا كان الواقع يتشكّل بواسطة خطاباتنا عوض أن ينعكس من خلالها فكيف نعرف الواقع نفسه عوض أن نعرف خطابنا فقط؟

من هذا السؤال نفترض وجود مرجع النص، فالأصل هو أنّ كلّ نص يرجع إلى شيء، إلى شيء في العالم، أو إلى شبه العالم، فاللغة كينونة نعيش داخلها، وتُحيل الدوال على دوال أخرى في النص، وخارجه. هذا إذا تأملنا أي نص في تشكيله اللغوي والخطابي في لحظة معطاة، خارج السيرورة التاريخية فإننا سنكون قد رُمنا المستحيل. فالمناسبة الثقافية والجمالية والفكرية والتاريخية والزمنية والمكانية هي التي تُبرّر حجب الدلالة في النص، وتُضاعف من طاقة الشعرية وتُعطي من قيمته وتشكيله وجماليته. والمناسبة إذا خارج - نصية أم داخل - نصية مارس فيها النص لعبته في حجبها.